

نفحات القرآن

[346] قلوبهم. وعلى كلا المعنيين فالآية دليل على وجود تضاد بين " التدبر " و"الحجاب على القلوب"، ويمكن القول: ان الآية تشير الى حجاب ترك التدبر. وقد جاء في تفسير (في ظلال القرآن): تدبر القرآن طبقاً لهذه الآية يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب نور المعرفة على القلوب، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير ويجدد الروح ويجعلها اكثر صفاءً واشراقاً⁽¹⁾. وقد جاء بعض المفسرين بدليلين لذكر القلوب نكرة في الآية، الاول: انها ذكرت نكرة لبيان حال قلوبهم المروّع، وانها قلوب مجهولة مليئة بالقساوة والظلمات. الثاني: إن المراد هو بعض القلوب لا كلها، لأن بعضهم لم يصلوا الى تلك الدرجة من الظلمات بحيث تقفل قلوبهم وتتوقف عن إدراك الحقائق. وذكر الاقوال بصيغة الجمع إشارة الى الحجب المختلفة التي تجعل على قلوبهم مثل حجاب النفاق والعناد والغرور وحجب النفس وغيرها. كما ينبغي الإشارة الى هذه النقطة وهي: إن بين "ترك التدبر" و"حجاب القلب" تأثيراً متبادلاً، فكلٌّ منهما يمكن ان يكون علة للآخر في مرحلة ومعلولا له في مرحلة اخرى، فتارة ترك التدبر ينشأ عن ظلمات القلب، وتارة اخرى ظلمات القلب تنشأ عن ترك التدبر. ونهني حديثنا هذا برواية عن الامام الباقر(عليه السلام) جاء فيها: عن الباقر(عليه السلام) قال: قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذة بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حرفه وضيّع حدوده

1 - في ظلال القرآن الجزء 7 الصفحة 462.